أَتَـى الـزَّمَـانَ بَـنُـوهُ فـي شَـبِـيـبَـتِـهِ
فَـسَـرَّهُـمْ وَأَتَـيْـنَـاهُ عَـلَـى الْـهَـرَمِ[١]

يذكرني فاتكاً حلمه

دخل عليه صديق بالكوفة وبين يديه تفاحة من الندِّ مكتوب عليها اسم فاتك وكان قد أهداها إليه فاستحسنها الرجل فقال أبو الطيب:

[المتقارب]

يُـذَكِّـرُنـي فَـاتِـكـاً حِـلْـمُـهُ
وَشَـيْءٌ مِـنَ الـنَّـدِّ فِـيـهِ اسْـمُـهُ[٢]
وَلَـسْـتُ بِـنَـاسٍ وَلٰـكِـنَّـنِـي
يُـجَـدِّدُ لِـي رِيـحَـهُ شَـمُّـهُ[٣]
وَأَيَّ فَـتًـى سَـلَـبَـتْـنِـي الْـمَـنُـونُ
وَلَـمْ تَـدْرِ مَـا وَلَـدَتْ أُمُّـهُ[٤]

= يُقدّرون صفاته الرفيعة، فضلاً عن سوء طبع ونذالة خلق، وتمنّى لو أنه بُعث في زمن غير هذا الزمن، ولذا فإنه يأسف لضياع عمره هباءً في معاشرة أمثال هؤلاء السفلة.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. يرى الشاعر أن الحياة قد مرّت بعصور ذهبيّة، فعاش بنوها في رغد من العيش وطمأنينة وسلام وسعادة، وها هو قد جاء في آخر الدهر، وقد ساء كلّ ما في الحياة، البشر، الحيوان، النبات، الطبيعة، لذا لم ير في العيش ما يسرّ ويُريح.

(٢) النّدّ: عود يتبخّر به. لا ريب أن لفاتك في قلب الشاعر مكانة خاصة لما يمتاز به ذلك الفتى، فما يرى أو يسمع بما كان يمتاز به فاتك حتى يتبادر إلى مخيّلة وعقل الشاعر فاتك بحلمه الواسع، فرغم قوّته وشجاعته كان حليماً رؤوفاً بالضعفاء، وكذلك اسمه يرمز إلى الطيب وما يجعل النفس تستريح لعبيره.

(٣) يُتابع الشاعر أنه لم ينس فاتكاً، وما يذكره به عبير الندّ الذي يملأ الجوّ بعبقه الزكيّ.

(٤) المنون: الموت. ينوّه الشاعر بتفرّد فاتك، أي فتًى من نوع خاص، تفرّد بمزاياه وصفاته، ولقد اصطفته المنون من بين البشر، ولقد ولدته أمه مميّزاً ولم تدرِ عن مصيره ومواصفاته شيئاً، فالطبيعة صقلته صقلاً وشذّبته بحيث يخلص من العيوب قلباً وقالباً.

وَلَا مَـــا تَـــضُـــمُّ إِلَـــى صَـــدْرِهَـــا
وَلَـــوْ عَـــلِـــمَـــتْ هَـــالَـــهَـــا ضَـــمُّـــهُ[١]
بِـــمِـــصْـــرَ مُـــلُـــوكٌ لَـــهُـــمْ مَـــا لَـــهُ
وَلٰـــكِـــنَّـــهُـــمْ مَـــا لَـــهُـــمْ هَـــمُّـــهُ[٢]
فَـــأَجْـــوَدُ مِـــنْ جُـــودِهِـــمْ بُـــخْـــلُـــهُ
وَأَحْـــمَـــدُ مِـــنْ حَـــمْـــدِهِـــمْ ذَمُّـــهُ[٣]
وَأَشْـــرَفُ مِـــنْ عَـــيْـــشِـــهِـــم مَـــوْتُـــهُ
وَأَنْـــفَـــعُ مِـــنْ وُجْـــدِهِـــمْ عُـــدْمُـــهُ[٤]
وَإِنَّ مَـــنِـــيَّـــتَـــهُ عِـــنْـــدَهُ
لَـــكَـــالْـــخَـــمْـــرِ سُـــقِّـــيَـــهُ كَـــرْمُـــهُ[٥]

---

(١) هالها: أرعبها، بحنان الأم كانت تضمّ صغيرها جاهلة مصيره، ولو أنها علمت أن فاتكاً سيكون شجاعاً مرعباً لأعدائه ما ضمته إلى صدرها لما قد يُثيره من خوف في نفسها. وذلك من مغالاة الشاعر، فالأمّ أمّ تحتضن صغيرها بقلب ملؤه الحبّ والتكريس والإشفاق والشفقة.

(٢) يعرّض الشاعر بكافور إنه ملك بمصر، غني، ولكنه يفتقد إلى همّة كهمة أبي شجاع الجواد، وكرمه لا حدود له.

(٣) يُنوّه الشاعر بجود أبي شجاع، وكرمهم لا يُداني كرمه، فإن قصّر اعتبر ذلك بخلاً من نفسه، وهو في محامده لا يُدانيه مخلوق، فهم يذمّون فيه كرمه وشجاعته حتى التهور في بعض الأحيان؛ فذمّه بمثابة حمد له وذمّ لهم لجبنهم وبخلهم.

(٤) الوُجْد: الغنى. العُدم: الفقر. يُقارن الشاعر بين موت أبي شجاع وحياة أولئك الملوك، فموته شرف له وحياتهم زراية لهم وحطّ من كراماتهم، وهو في حال فقره أنفع للناس من أولئك في حالة غناهم مع بخلهم.

(٥) المنية: الموت. حال الموت حال عجيب، فقد كان فاتك يفتك بنفوس الأعداء ويُوردها إلى العدم، وهو بدوره لم يستعصِ على المنية، احتضنه تراب الأرض؛ فكان يسقي أعداءه ذلك الكأس فشربه حتى الثمالة، فإذا بالكرمة تستقيه لجوده وكرمه.

فَـــذَاكَ الَّـــذِي عَـــبَّـــهُ مَـــاؤُهُ
وَذَاكَ الَّـــذِي ذَاقَـــهُ طَـــعْـــمُـــهُ(١)
وَمَـــنْ ضَـــاقَـــتِ الْأَرْضُ عَـــنْ نَـــفْـــسِـــهِ
حَـــرًى أَنْ يَـــضِـــيـــقَ بِـــهَـــا جِـــسْـــمُـــهُ(٢)

أين المحاجم يا كافور؟

وقال يهجو كافوراً أيضاً:

[البسيط]

مِـنْ أَيَّـةِ الـطُّـرْقِ يَـأْتِـي مِـثْـلَـكَ الـكَـرَمُ
أَيْـنَ الـمَـحَـاجِـمُ يَـا كَـافُـورُ وَالْـجَـلَـمُ(٣)
جَـازَ الأُلَـى مَـلَـكَـتْ كَـفَّـاكَ قَـدْرَهُـمُ
فَـعُـرِّفُـوا بِـكَ أَنَّ الْـكَـلْـبَ فَـوْقَـهُـمُ(٤)

---

(١) عبّه: جرعه. لقد ذاق فاتك طعم ما كان يُذيقه لأعدائه، فإذا به يكون طعماً سائغاً لما كان يفعله مع سواه، فتجرّعه الموت، وهو من صنع يديه.

(٢) حرى: خليق وجدير. إن فاتكاً من العظماء الذين تضيق بهم الحياة ذرعاً ولا تستطيع الاستجابة لرغباتهم وطموحهم إلّا راغمة، وإن لم تفعل كان عليها أن تغتال طموحهم وتسلبهم حياتهم ثمن فشلها، لذا هلك، لأنه لم يحتمل العيش في قاع الاستكانة والضعف.

(٣) المحاجم، الواحدة محجمة: القارورة يُحجم بها الجلد. الجلم: أحد شقي المقراض، وهما جلمان. يسخر الشاعر من كافور، فالكرم لا يتعرّف إليه، فكلّ الطرق مقطوعة بحواجز وموانع يصعب على كافور تخطيها أو التخلّص منها. وإمعاناً باحتقاره يسأله عن المحاجم والجلم، هل لا زال يستعملها أم خبّأها في مكان ما؟ يذكّر الشاعر كافوراً بمن اشتراه في ما مضى وكان حجّاماً.

(٤) يصبّ الشاعر جام غضبه على من ملّكوا كافوراً عليهم، لقد انصرفوا عن جادة الصواب وغيّروا وبدّلوا بدينهم، فابتلاهم ربهم بمن يسومهم سوء العذاب؛ بكلب لا يكلّ عن عضّهم وإرعابهم بنباحه عليهم.

ـ ورد بعد هذا البيت بيت لم يرد في الديوان، وهو التالي:

لَا شَـيْءَ أَقْـبَـحُ مِـنْ فَـحْـلٍ لَـهُ ذَكَـرٌ تَـقُـودُهُ أَمَـةٌ لَـيْـسَـتْ لَـهَـا رَحِـمُ